مفاجأة مذهلة للشاذلى فى لندن!!

استقبلت المتاعب والمفاجآت السفير «الشاذلى» عند وصوله إلى لندن عندما بدأ فى مواجهة حملة صهيونية ضد تعيينه سفيرا لمصر هناك. وكتب عنها وقتها موسى صبرى بجريدة الأخبار فى ٢٩ / ٧ /١٩٧٤م الذى كان يعرف الفريق «الشاذلى» عن قرب وسبق له أن أجرى معه حوارات بعد نصر أكتوبر من قبل، وجاء فى عرضه لاتهامات الصهيونية ضد السفير «الشاذلى» : إن هذه الحملة كانت تعتمد على اتهامين، الأول أن «الشاذلى» عندما كان ملحقا حربيا فى لندن فى الستينيات كان على علاقة بالحزب اليمينى المتطرف (وهو حزب غير معترف به فى بريطانيا) الذى كانت سياسته تتسم بالعداء للسامية، وأن «الشاذلى» كان يقوم بتشجيع الحزب وأكد «الشاذلى» مدافعا ضد هذا الاتهام أنه اتهام باطل فلا يمكن له أن يكون ضد السامية لأنه عربى وأصول العرب التاريخية من أصل سام. والفرق كبير بين الخلاف مع إسرائيل كعدو وبين معاداة السامية وأنكر «الشاذلى» هذا الاتهام.

أما الاتهام الثانى فكان مفاده أن «الشاذلى» عندما كان رئيسا لأركان حرب الجيش المصرى خلال معارك أكتوبر أمر بقتل الأسرى الإسرائيليين، والحقيقة أن «الشاذلى» لم يُصدر هذا الأمر سواء قبل

العمليات الحربية أو أثناءها أو حتى بعدها، لكنه أصدر توجيه لقواته بتوخي الحذر الشديد عند مواجهة العدو تجنبا لمكر العدو وخداعه، وأصدر أوامره بالإسراع بالإجهاز على العدو وقتله وهذا أمر طبيعي في المعارك، فلا يُعقل أن يوصي جنوده وضباطه أن يقابلوا عدوهم عند مواجهته بالأحضان والقبلات. وهكذا فشلت القوى الصهيونية في عرقلة تعيين «الشاذلي» سفيرا لمصر في لندن. (انتهت الفقرة المختصرة من مقال موسى صبري بجريدة الأخبار في ٢٩ / ٧ / ١٩٧٤م)

ولم يعبأ السفير «الشاذلي» بهذه المتاعب المفتعلة وجعل تركيزه الأول في مهمته العسكرية التي أتى من أجلها وبادر بتحديد موعد لمقابلة السفير الألماني ليتعرف إلى فرص التعاون العسكري المرتقب بين مصر وألمانيا والتي جاء خصيصا للاتفاق عليها، وتوقع «الشاذلي» أن المقابلة قد تطول، ولكن المفاجأة التي كانت بانتظاره جعلت المقابلة تنتهي فور بدايتها وانتهت بدهشة «الشاذلي» بعدما عرف من السفير الألماني أنه ليس هناك نية في مساعدة مصر بتسليح ألماني، فاكتشف «الشاذلي» لحظتها أن المهمة التي كلفه بها السادات كانت فكرة وهمية ليس لها أي أساس من الصحة، وأن مجيئه إلى لندن والعمل بالخارجية كانت محاولة من السادات لإبعاده وإقصائه عن مصر بعد تألقه وانتصاره (روزاليوسف، ٢٣ / ٤ / ٢٠٠٥م).

وبالرغم من أن عمل «الشاذلي» سفيرا بالدرجة الممتازة ليس بالمنصب الهين فإن وقع المفاجأة كان كبيرا عليه، وزاد من دهشته الثقة التي

كانت بينه وبين الرئيس، فسبق أن حظى «الشاذلى» بتقدير السادات من قبل بترقيته رئيسا للأركان متخطيا بترقيته ٤٠ لواءً من زملائه، وعهد إليه الرئيس بوضع مشروع استراتيجى لإعادة إعداد الجيش لمعركة النصر قبل وبعد إجلاء الروس عن مصر، والسادات هو الذى وافق من قبل ذلك «للشاذلى» بإجراء مباحثات مع بعض الدول العربية لدعم مصر فى حرب أكتوبر وأتت ثمارها فى نصر أكتوبر، والسادات هو الذى كلف «الشاذلى» بوضع خطة العبور والتى نجحت المرحلة الأولى منها نجاحا باهرا أذهل العالم.

وبرغم ذلك أحدثت هذه الواقعة شرخا كبيرا فى جدار الثقة الذى كان يرتكن عليه «الشاذلى» فى علاقته بالرئيس السادات، واكتشف «الشاذلى» وقتها بُعد المسافة التى تفصل بين تفكيره كرجل عسكرى محترف، وتفكير الرئيس السادات ودهائه السياسى، فالسياسة متخمة بالألاعيب ولها قواعد كان السادات يتقنها جيدا ويمارسها ببراعة فائقة.

ولكن لأن الفريق «الشاذلى» كان يتمتع بشخصية صلبة وعنيدة فى مواجهة مثل هذه الصدمات، فلم يدع الفرصة لصدمته فى السادات أن تنال منه وأخذ يمارس عمله الدبلوماسى بمنتهى الحماسة للعمل والاستمتاع به.

وتحكى السيدة عبلة عادل خيرى عن واقعة لقائها بالسفير «سعدالشاذلى» أثناء عمله سفيرا لمصر بلندن فى أواخر ١٩٧٤م قالت عنها:

«استقبلنى السفير المصرى الفريق «سعد الشاذلى» مع أسرتى فى السفارة المصرية بلندن حيث أقام لى حفل تكريم كبير دعا إليه كبار الشخصيات والإعلاميين والسفراء للاحتفال بى هناك فور إعلان وسائل الإعلام العالمية نجاحى فى عبور المانش، وكنت وقتها أول فتاة عربية مصرية تنجح فى عبور المانش وكان عمرى وقتها ١٥ عاما، وكنت قد حققت بعبورى هذا رقما قياسيا عالميا كأصغر سباحة فى العالم آنذاك، وكان نجاحى حدثا عالميا وفخرا لمصر نلت عنه التكريم، وكتبت عن نجاحى الصحف المصرية والأجنبية، وكان السفير «الشاذلى» فخورا بإنجازى وعبر عن ذلك فى كلمته التى ألقاها أمام ضيوف الاحتفال الذى أقامه خصيصا لى فى السفارة المصرية وصف فيه نجاحى بأنه ثانى عبور ناجح للمصريين، وكان حفل تكريمى من السفير «الشاذلى» هو أول تكريم حصلت عليه قبل عودتى منتصرة لمصر، وظل ذكرى سعيدة لأسرتى لأول وآخر لقاء جمعنا بسفير مصر فى لندن الفريق «الشاذلى».

واستمر «الشاذلى» فى عمله الدبلوماسى بنفس حماسه المعهود يعقد اجتماعاته ويحضر مؤتمرات ولقاءات ويدلى فيها بتصريحاته كقائد عربى منتصر، لكنه لم ينس أبدا فى ممارسته لعمله الدبلوماسى أنه تابع للسلطات المصرية، وبرغم ذلك كان قدره أن تلاحقه المتاعب أينما ذهب فكانت المفاجأة الجديدة هى استدعاء وزير الخارجية إسماعيل فهمى للسفير «الشاذلى» بشكل طارئ للقاهرة للتحقيق معه بشأن ما نسب إليه مؤخرا من تصريحات.